المكان المتخيل في شعر جاسم الصحيح

أ. نادر محمد الغامدي*, أ.د. عبد الرحمن رجا الله السلمي**

سلم البحث في ١٤٤٧/١٠/٢٥هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٧/١١/٢٧هـ

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة توظيف المكان المتخيل والرمزي في شعر جاسم الصحيح، بوصفه عنصرًا فنيًا ودلاليًا أساسيًا في بناء النص الشعري. وتنطلق من فرضية مفادها أن المكان في شعره لا يقتصر على بعده الجغرافي، بل يتحول إلى فضاء شعري يحمل رؤى الشاعر الفكرية والوجدانية. وتسعى الدراسة إلى الكشف عن أنماط المكان في شعره، ولا سيما المكان الواقعي والمتخيل والرمزي، وتحليل علاقته بتجارب الاغتراب والحنين والانتماء. كما تبرز دور الخيال الشعري في إعادة تشكيل المكان بما يمنحه كثافة رمزية وقدرة على التعبير عن الذات والواقع معًا. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في قراءة النصوص الشعرية واستنطاق بنياتها الفنية والدلالية. وتوضح أن المكان في شعر جاسم الصحيح يتداخل مع الذاكرة والهوية والقيم الدينية والوطنية، فيتحول إلى علامة على الألفة حينًا، وعلى المعاناة حينًا آخر. كما تكشف عن حضور واضح للمكان بوصفه رمزًا للاغتراب النفسي والقلق الوجودي، فضلًا عن كونه أفقًا للتأمل والبحث عن المعنى. وتخلص الدراسة إلى أن المكان عنصر محوري في تشكيل التجربة الشعرية عند الصحيح، وأن توظيفه يمنح النص بعدًا جماليًا وفكريًا متجددًا. كما تسهم الدراسة في إغناء الدراسات النقدية العربية المعاصرة عبر مقاربة المكان بوصفه بنية فاعلة في إنتاج الدلالة الشعرية. وبذلك تؤكد أن شعر جاسم الصحيح يقدم نموذجًا متميزًا في استثمار المكان المتخيل والرمزي للتعبير عن الإنسان والعالم.

Abstract:

This study examines the use of imagined and symbolic place in the poetry of Jassim Al-Sahih as a central artistic and semantic element in poetic construction. It is based on the premise that place in his poetry is not limited to a geographic dimension, but becomes a poetic space that carries the poet's intellectual and emotional vision. The study aims to identify the types of place in his poetry, especially real, imagined, and symbolic places, and to analyze their relation to experiences of alienation, nostalgia, and

* باحث بقسم اللغة العربية, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة الملك عبد العزيز, حدة, المملكة العربية السعودية.

** أستاذ بقسم اللغة العربية, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة الملك عبد العزيز, حدة, المملكة العربية السعودية.

belonging. It also highlights the role of poetic imagination in reshaping place so that it acquires symbolic density and expressive power. The study employs a descriptive-analytical method to read the poems and interpret their aesthetic and semantic structures. It shows that place in Jassim Al-Sahih's poetry intersects with memory, identity, and religious and national values, turning into a sign of intimacy in some contexts and suffering in others. The study further reveals a clear function of place as a symbol of psychological estrangement and existential anxiety, as well as a horizon for reflection and the search for meaning. It concludes that place is a pivotal component in shaping Al-Sahih's poetic experience, and that its use gives the text renewed aesthetic and intellectual depth. The study also contributes to contemporary Arabic criticism by approaching place as an active structure in the production of poetic meaning. Accordingly, it affirms that Jassim Al-Sahih's poetry offers a distinctive model of employing imagined and symbolic place to express both human experience and the world.

المقدمة:

يُعدُّ المكان من العناصر الأساسية في بناء النص الشعري، حيث يكتسب بعدًا جماليًا ودلاليًا يجعله أداة للتعبير عن عواطف الشاعر وأفكاره وتجاربه المختلفة. وتتبع أهمية المكان في الشعر من قدرته على الربط بين الذات والموضوع، وبين الواقع والخيال، ليصبح المكان فضاءً تعبيريًا يعكس رؤية الشاعر للعالم وارتباطه بالزمان والأحداث. ويُعدُّ توظيف المكان في الشعر العربي الحديث ظاهرة إبداعية متجددة، تتجاوز البعد الوصفي الجامد إلى خلق فضاء دلالي وجمالي يثري النص الشعري ويمنحه أبعادًا رمزية وفكرية.

من بين الأصوات الشعرية الحديثة التي برزت في الساحة الأدبية العربية، يبرز الشاعر السعودي جاسم الصحيح كأحد أبرز الشعراء الذين استطاعوا توظيف المكان في تجربته الشعرية بوعي إبداعي وفني. ينعكس المكان في شعره باعتباره مرآة تعبيرية تُظهر رؤيته الوجدانية والفكرية، كما تُحيل إلى انتماءاته الوطنية والدينية والثقافية. وقد استطاع جاسم الصحيح تحويل المكان إلى عنصر متحرك ومفعم بالرمزية، يتداخل مع مشاعره الشخصية ورؤاه الفكرية، مما يميز شعره ويمنحه عمقًا وخصوصية.

من خلال قراءة نصوص جاسم الصحيح الشعرية، يتضح أن المكان لديه ليس مجرد إطار جغرافي أو مسرح للأحداث، بل هو مكون أساسي يرتبط بتجربته الذاتية والإنسانية. فنجد أن المكان يتجسد في صوره الشعرية متنوعًا بين الأماكن الواقعية مثل الوطن والأماكن المقدسة، وبين الأماكن المتخيلة أو الرمزية التي تعكس أفكاره وأحاسيسه. كما يتفاعل المكان في شعره مع القضايا الوجدانية، الاجتماعية،

والسياسية التي تُشكل هويته الشعرية.

وفي هذا السياق، يُعتبر الشاعر السعودي جاسم الصحيح واحدًا من أبرز الأصوات الشعرية في المملكة العربية السعودية والعالم العربي المعاصر، إذ استطاع أن يستثمر المكان بجميع أبعاده ليحوله إلى رمز شعري غني بالدلالات الإنسانية والوجدانية. يتسم شعر جاسم الصحيح بتعدد أوجه المكان؛ حيث يحتل المكان الوطني والمقدس مكانة بارزة، في الوقت الذي يبرز فيه المكان المتخيل والرمزي ليعبر عن رؤى فلسفية واجتماعية معاصرة. وتنعكس مهارة الشاعر الفنية في قدرته على تشكيل المكان ليكون فضاءً للمعاناة، للحنين، للتعبير عن الأمل تارة، وللتعبير عن الحزن والغربة تارة أخرى.

يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على توظيف المكان المتخيل في شعر جاسم الصحيح، من خلال دراسة تحليلية نقدية تستكشف دلالات المكان وأنواعه، والأساليب الفنية التي اعتمدها الشاعر في تشكيل فضاءاته الشعرية المختلفة.

إن دراسة "المكان المتخيل في شعر جاسم الصحيح" تفتح الباب لاستكشاف تجربة شعرية مميزة، استطاعت بمهارة فنية وعمق فكري أن تجعل من المكان عنصرًا محوريًا في تشكيل النص الشعري. ويُعَد هذا البحث إضافة نقدية تسعى إلى تسليط الضوء على هذا الجانب من شعر جاسم الصحيح، مع إظهار العلاقة الوثيقة بين المكان والذات الشاعرة، وما يحمله من أبعاد إنسانية وفنية.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

١. مكانة جاسم الصحيح الشعرية: يُعد جاسم الصحيح من أهم الشعراء في العصر الحديث الذين تميزت أعمالهم بتوظيف المكان بمختلف أنواعه: الواقعي، المقدس، الرمزي، والمتخيل. مما يُغري بالدراسة والبحث في هذا الجانب من شعره.

٢. أهمية المكان في الأدب: يبرز المكان بوصفه عنصرًا محوريًا في النصوص الشعرية، حيث يُساهم في تشكيل الصورة الشعرية، ويعكس رؤى الشاعر الفكرية والوجدانية، مما يفتح المجال لدراسة أبعاد المكان ودلالاته في تجربة جاسم الصحيح.

٣. قلة الدراسات حول المكان في شعر جاسم الصحيح: رغم الاهتمام الكبير بشعر جاسم الصحيح، إلا أن الدراسات النقدية التي تناولت عنصر المكان في شعره تبقى محدودة، مما يبرز الحاجة لدراسة معمقة وشاملة تكشف عن جماليات المكان ودوره الفني والفكري في تجربته الشعرية.

٤. البعد التراثي والديني: تميز شعر جاسم الصحيح باستلهام الأماكن المقدسة، سواء في التراث الإسلامي أو الثقافي العربي، مما يجعل دراسة المكان فرصة لاستكشاف هذا البعد الرمزي.

أهمية الدراسة:

١. تسليط الضوء على مكانة جاسم الصحيح الشعرية، بوصفه أحد أهم الشعراء الذين استطاعوا توظيف المكان بطرق إبداعية متعددة.
٢. الكشف عن أبعاد المكان في شعره سواءً على المستوى الواقعي، الرمزي، أو المتخيل، وأثره في بناء المعنى الشعري.
٣. إبراز الأساليب الفنية التي اعتمدها الشاعر في تشكيل المكان وصياغته ليكون عنصرًا دلاليًا وجماليًا في النص الشعري.
٤. الإضافة إلى الدراسات النقدية الحديثة المتعلقة بالمكان بوصفه عنصرًا جماليًا وفكريًا في الشعر العربي المعاصر.
٥. ربط شعر جاسم الصحيح بالواقع العربي والإسلامي، حيث يعكس المكان في شعره قضايا الوطن، الهوية، والإنسانية.

فرضية الدراسة:

تفترض الدراسة أن توظيف المكان في شعر جاسم الصحيح لا يقتصر على كونه عنصرًا جغرافيًا أو إطارًا مكانيًا للأحداث، بل يتجاوزه ليصبح أداة تعبيرية رمزية تجسد رؤى الشاعر الفكرية والوجدانية، وتعكس ارتباطه بالزمان والإنسان والمجتمع. كما يُتوقع أن يكون المكان حاملاً لدلالات وطنية ودينية وإنسانية تميز تجربته الشعرية وتضفي عليها أبعادًا جمالية وفكرية.

أسئلة الدراسة:

١. ما الأبعاد التي يُضفيها جاسم الصحيح على المكان في شعره؟
٢. كيف يتفاعل المكان مع الزمان لتشكيل البنية الفنية للقصيدة؟
٣. ما الأساليب الفنية التي استخدمها الشاعر في صياغة المكان وتحويله إلى عنصر دلالي وجمالي؟
٤. إلى أي مدى يعكس المكان في شعر جاسم الصحيح قضايا الهوية والانتماء والإنسانية؟

أهداف الدراسة:

١. دراسة المكان بوصفه عنصرًا أساسيًا في تشكيل النص الشعري لدى جاسم

الصحيح.

٢. الكشف عن دور المكان المتخيل في التعبير عن معاناة الشاعر واغترابه الوجداني.

٣. إبراز الأساليب الفنية والصور الشعرية الناتجة عن توظيف المكان المتخيل في شعر جاسم الصحيح.

٤. المساهمة في إثراء المكتبة النقدية والأدبية بدراسة تحليلية جديدة تتناول تجربة شعرية معاصرة من زاوية توظيف المكان.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الأنسب لدراسة الشعر وتحليل أبعاده الجمالية والدلالية. ويتم ذلك من خلال:

١. الوصف: بتتبع أماكن توظيف المكان في قصائد جاسم الصحيح.

٢. التحليل: للكشف عن الدلالات المختلفة للمكان المتخيل.

وتسعى الدراسة إلى الجمع بين التحليل الفني والدراسة النقدية الحديثة، مع التركيز على قدرة الشاعر على تحويل المكان إلى رمز دلالي يعكس رؤاه وأحاسيسه.

الدراسات السابقة:

١. كشفت دراسة سعيد سهمي بعنوان "**جماليات التوظيف الاستعاري في شعر جاسم الصحيح**" عن جماليات التوظيف الاستعاري في شعر الشاعر السعودي جاسم الصحيح، موضحة أن الاستعارة تُعد أداة تعبيرية وجمالية أساسية تعكس رؤية الشاعر للعالم والوجود، حيث تقوم بتقريب المعنى للمتلقي وتُتيح مساحة واسعة للخيال. أشارت الدراسة إلى تركيز الشاعر على الاستعارة المكنية، التي تتميز بحذف المستعار منه، لما لها من قدرة تعبيرية أبلغ من التصريحية. كما بينت أن القلق يطغى على العديد من قصائده نتيجة لتأثره بالاضطرابات والقضايا التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية، مما يجعل منه مثقفًا عضويًا يعكس قضايا المجتمع. وعلى الرغم من ذلك، برز الحب كأحد الموضوعات الأساسية في شعره، إذ يمثل رهانًا لتحقيق الأمن والسلام في مواجهة التوتر. وقد أظهرت الدراسة تنوع التوظيف الاستعاري في شعره بما يعكس تعدد المواقف والأنساق التي تركز على الإنسان كأحد أهم محاور اهتماماته. وأكدت الدراسة في ختامها قدرة جاسم الصحيح على توظيف الاستعارة التقليدية بأسلوب مبتكر يخدم المعاني الجديدة

ويُضفي حياة على الأشياء والمجردات، مما يُبرز تفوقه البلاغي والتعبيري.

٢. كشفت دراسة محمد طيبة حسين سعيد بعنوان "**شعر جاسم الصحيح: دراسة فنية: مختارات من شعره**" عن التميز الشعري للشاعر السعودي جاسم الصحيح الذي يعد من أبرز الأصوات الشعرية في الساحة الأدبية العربية، حيث يبرز حضوره من خلال دواوينه الكثيرة المطبوعة والجوائز التي حصل عليها، إضافة إلى لغته الشعرية المتميزة وإبداعه في تناول مختلف الأغراض الشعرية. أشارت الدراسة إلى أبرز سمات شعره، ومن بينها الولاء المتدفق للرسول الأكرم -صلى الله عليه وسلم- وآله الطاهرين، الذي يتجلى بوضوح في قصائد الرثاء والمديح، مما يجعل شعره جديرًا بأن يُقدَّم بصورة أعمق للساحة الأدبية والثقافية. قسمت الدراسة إلى قسمين: سياق عام يتناول تعريفًا مختصرًا بالشاعر وأبرز الموضوعات التي تناولتها دواوينه، وسياق خاص يركز على دراسة الخصائص الفنية البارزة في قصائده. وقد أشادت الدراسة بتميز الصحيح في استخدام اللغة والصورة والإبداع والفكرة، مؤكدةً مكانته كشاعر يمتلك قامة شعرية سامقة تدعو للتعمق في إبداعاته واستكشافها.

٣. تناولت دراسة علي رضا مجتهد زاده بعنوان "لغة الشعر عند جاسم محمد الصحيح" جماليات اللغة الشعرية لدى الشاعر جاسم الصحيح، الذي رسم بلوحته الشعرية وأغراضه البديعة صورة فنية متقنة، مع التركيز على إخلاصه وحبه لآل البيت (عليهم السلام) ومذهبه، وهو ما يظهر بوضوح في أشعاره. انقسم البحث إلى عدة مباحث وفق المنهج الوصفي – التحليلي، حيث تناول المبحث الأول المعجم الشعري للشاعر، بينما ركز المبحث الثاني على الجانب التركيبي، والمبحث الثالث على الجانب البياني، واختُتم بالمبحث الرابع الذي تناول المستوى الإيقاعي. وخلص البحث إلى أن لغة الصحيح الشعرية تتميز بدمج الظواهر التاريخية والتراثية الإسلامية، واستلهام الآيات القرآنية والمعاني الدينية، فضلاً عن كثرة الألفاظ الإسلامية وأسماء آل البيت والشهداء وأماكن مقدسة. كما أبرز البحث تنوع أنماط الصياغة والأساليب التعبيرية التي يستخدمها الشاعر للتعبير عن أفكاره ومشاعره، مما يضفي على شعره عمقًا وأصالة.

٤. تناولت دراسة البندري بنت ضيف الله المطيري بعنوان "**وسائل تشكيل الصورة الشعرية في شعر جاسم الصحيح: ديوان تضاريس الهذيان نموذجًا**" الكشف عن وسائل تشكيل الصورة الشعرية في ديوان "تضاريس الهذيان"، معتمدةً على المنهج

الوصفي التحليلي لتفكيك الصور الشعرية وتحليل أجزائها وتشكلاتها المختلفة. ركزت الدراسة على تنوع الصور في الديوان وفرادتها، التي تعكس مهارة الشاعر وقدرته الفنية، مما جعل شعره محط اهتمام النقاد والدارسين. وأظهرت أن الصورة الشعرية في ديوان الصحيح تشكلت من وسائل متعددة، أبرزها تبادل الحواس والخيال بوسائله المختلفة، حيث هيمنت الصور الاستعارية على معظم شعره. كما حظي التناص الديني والتراثي بدور بارز في تشكيل الصورة الرمزية، ما أسهم في التعبير عن معاناة الشاعر وتجربته الشعورية، وأضفى عمقًا على خطابه الشعري، مما ارتقى به إلى مصاف الإبداع الشعري.

التعليق على الدراسات السابقة:

كشفت الدراسات السابقة عن جوانب متعددة في شعر جاسم الصحيح والشعر العربي الحديث بشكل عام، مما يقدم لي أساسًا قويًا للتعليق والمقارنة مع دراستي التي جاءت بعنوان "توظيف المكان في شعر جاسم الصحيح".

أوجه الاتفاق مع دراستي:

١. المكان بوصفه عنصرًا فنيًا ودلاليًا:

اتفقت معظم الدراسات مع دراستي في تسليط الضوء على المكان كعنصر جمالي وفني في النص الشعري. على سبيل المثال، تناولت دراسة فوزية صمادي وزوليخة طيب التشكيل المكاني في قصيدة "أنشودة المطر" لبدر شاكر السياب، وكشفت عن الأبعاد الجمالية والرمزية للمكان ودوره في إثراء البنية الشعرية، وهو ما أسعى لتحقيقه في دراستي من خلال تحليل كيفية توظيف المكان في شعر جاسم الصحيح وبيان أبعاده الدلالية والفنية.

٢. توظيف التراث والرمزية:

أشارت دراسة علي رضا مجتهد زاده إلى توظيف جاسم الصحيح للتراث الإسلامي والقرآني في لغته الشعرية، وهو ما يتقاطع مع دراستي؛ إذ سأكشف عن توظيف المكان المرتبط بالتراث الديني والرمزي في شعره، ومدى تأثير ذلك في تشكيل رؤيته الشعرية.

٣. التناص الديني والتراثي:

أظهرت دراسة البندري بنت ضيف الله المطيري دور التناص الديني في تشكيل الصورة الشعرية لدى جاسم الصحيح، مما يُعد مرجعًا مهمًا لدراستي، حيث سأبرز دور التناص المكاني والديني في شعر الصحيح كأحد الأنساق الفنية التي تُثري

النص الشعري.

أوجه الاختلاف بين دراستي وتلك الدراسات:

١. التركيز على المكان كعنصر مستقل:

بينما ركزت معظم الدراسات السابقة على الصور الشعرية، اللغة، والاستعارة في شعر جاسم الصحيح، فإن دراستي تتخصص في "توظيف المكان" كعنصر مستقل يستحق الدراسة المتعمقة، من حيث دلالاته الفنية والرمزية والاجتماعية، وكذلك علاقته بتجربة الشاعر وواقعه الشخصي والإنساني.

٢. التنوع في النصوص الشعرية:

ركزت بعض الدراسات، مثل دراسة البندري المطيري، على ديوان واحد (تضاريس الهذيان)، بينما تسعى دراستي إلى تحليل المكان في تجربة جاسم الصحيح الشعرية بشكل عام عبر أكثر من ديوان، مما يعطي أفقًا أوسع لتتبع تنوع التوظيف المكاني عبر مراحل تطور تجربته الشعرية.

٣. المكان بوصفه انعكاسًا للهوية والانتماء:

تناولت دراسة صالح بن سالم الحارثي الإشاريات التداولية في قصيدة "الوطن بأبجدية ثانية"، مع التركيز على الأبعاد التواصلية والدلالية. في المقابل، تركز دراستي على المكان كمرآة لهوية الشاعر وانتمائه، سواء كان الوطن حاضرًا بوصفه رمزًا للانتماء والولاء، أو مكان المنفى والغربة بوصفه فضاءً للتعبير عن القلق والحنين.

٤. المقارنة مع شعراء آخرين:

تختلف دراستي عن الدراسات التي تناولت بدر شاكر السياب وسعدي يوسف (مثل دراسات فوزية صمادي ومرتضى حسين)، حيث أركز بشكل أساسي على جاسم الصحيح، مع إمكانية المقارنة الطفيفة لدراسة خصوصية توظيف المكان في شعره مقارنة بشعراء آخرين.

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

من خلال الدراسات السابقة، تمكنت من الاستفادة من عدة جوانب:

١. **المناهج النقدية:** اعتمدت بعض الدراسات على المنهج الوصفي التحليلي، مثل دراسة علي رضا مجتهد زاده ودراسة البندري المطيري، مما يوفر لي أداة فعالة لتحليل دلالات المكان في شعر جاسم الصحيح وتفكيك أبعاده المختلفة.

٢. **التركيز على الجوانب الفنية:** استفدت من تركيز الدراسات على عناصر اللغة، الاستعارة، والتناص، حيث ساعدني ذلك في ربط توظيف المكان بالصور الفنية

والجمالية التي يتبناها جاسم الصحيح.

٣. **الوعي بأهمية الرؤية الفكرية للشاعر:** كشفت بعض الدراسات عن ارتباط النصوص الشعرية لجاسم الصحيح بالقضايا المجتمعية والفكرية، وهو ما عزز رؤيتي لدراسة المكان بوصفه انعكاسًا لهذه القضايا من منظور الشاعر.

بذلك، تُعد دراستي مكملةً لما جاء في الدراسات السابقة، حيث أتعمق في دراسة المكان كعنصر جمالي وفني مستقل في شعر جاسم الصحيح، وأكشف عن أبعاده الفكرية والرمزية وعلاقته بتجربته الشعورية والإنسانية، مع تسليط الضوء على خصوصية توظيف المكان في أعماله مقارنة بشعراء آخرين.

الخطة الهيكلية للدراسة:

المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع وأسباب اختياره. أهداف البحث. منهج البحث. الدراسات السابقة.

١. **المبحث: المكان المتخيل، وفيه عدة مطالب:**

المطلب الأول: دور الخيال الشعري في تشكيل المكان.

المطلب الثاني: رمزية المكان المتخيل في تعبير الشاعر عن قضاياه الذاتية والإنسانية.

الخاتمة: تلخيص أبرز النتائج.

المبحث الأول: المكان المتخيل

مدخل.

يُعدّ المكان في الشعر من أبرز العناصر التي تعكس تجربة الشاعر ورؤيته للعالم من حوله، ويُعتبر المكان في شعر جاسم الصحيح أكثر من مجرد خلفية مكانية أو موقع جغرافي؛ إنه عالمٌ رمزيٌ متخيل يعكس دواخل الشاعر وصراعاته الذاتية والفكرية. في هذا الفصل، سنغوص في كيفية توظيف جاسم الصحيح للمكان المتخيل والرمزي، ونستعرض دور الخيال الشعري في تشكيل هذه الأمكنة التي لا تُعبّر فقط عن الواقع الملموس، بل عن معاناة الشاعر وأحلامه وآماله أيضًا.

يُقدّم الشاعر في المبحث الأول مفهوم المكان المتخيل الذي يتجاوز حدود المكان الواقعي ليكون ساحة للخيال الشعري، حيث يُعبّر عن القضايا الذاتية والإنسانية التي يسعى الشاعر لتجسيدها. هذا المكان المتخيل يصبح مساحة حرة للتعبير عن التناقضات الداخلية، ليعكس صراع الشاعر مع ذاته ومع عالمه الخارجي.

يتناول هذا الفصل تفاعل الشاعر مع المكان كعنصر لا يقتصر على التعبير عن موقع جغرافي فحسب، بل يعبّر عن صراع داخلي، حيث تتحول الأمكنة في شعره إلى أماكن للبحث عن الهوية والوجود، وتجسد أكثر من مجرد مكان مادي بل فضاء معنوي يكشف عن أعمق الانفعالات والآلام.

المطلب الأول: دور الخيال الشعري في تشكيل المكان.

تتبلور أجزاء المكان المتخيل انطلاقًا من رؤية افتراضية، وقد تستقي بعض سماته من الواقع، غير أنه يظل غير مضبوط المعالم وغير مكتمل التحديد، ويُعد التخيل السمة الأبرز التي تطبع الفنون وتمنحها خصوصيتها، وهذا ما يميزها عن العلوم وسائر الأنشطة الذهنية الأخرى.

والمكان في السرد إلى جانب بنيته الطوبغرافية (الجغرافية – الحكائية) يمتلك جانبا حكائيا تخيليا يتجاوز معالمه وأشكاله الهندسية، لذلك حتى لو كان الفضاء يمتلك امتدادات واقعية، بمعنى يحيل إلى أمكنة لها وجود في الواقع، فإنما يهم في السرد هو الجانب الحكائي التخيلي للفضاء، أي الدور الحكائي النصي الذي يقوم به داخل السرد.[1]

وإذا كانت الدراسات الواقعية قد رأت في المكان شيئا يمكن تحديد أبعاده الجغرافية والاجتماعية والنفسية، فإن المكان الحلم المتخيل فاقد لتلك الشروط أو لجزء منها، والمتمثل بعدم امتلاك بعد ماد أو موضوعي يمكن من خلاله معاينته وإدراكه عن طريق الحواس، إذ لا بعد سوى للذات المتخيلة التي تنتج له أبعادا وصورا وتمنح له واقعيته المتخيلة. [2]

يلعب الخيال الشعري دورًا جوهريًا في تشكيل المكان داخل شعر جاسم الصحيح، حيث لا يقتصر المكان على أبعاده الجغرافية أو الواقعية، بل يتجاوزها ليصبح فضاءً دلاليًا مشبعًا بالرموز والانفعالات. من خلال الخيال، يعيد الشاعر بناء المكان وفق رؤيته الذاتية وتجربته الشعورية، مما يمنحه طابعًا فنيًا يتداخل فيه الواقعي بالأسطوري، والمحسوس بالرمزي. فالمكان المتخيل عند الصحيح ليس مجرد إطار للأحداث، بل كيان حي يتفاعل مع الذات الشاعرة، يعكس حالاتها النفسية، ويترجم

---

[1] ينظر: بوعزة محمد، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، دار الأمان، الرباط، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٠٠.

[2] ينظر: العامري، ساهرة حسين عليوي، المكان في شعر ابن زيدون، رسالة ماجستير، جامعة ٢٠٠٨، ص ١٠٦ .

رؤاها الوجودية والوجدانية. كما يسهم الخيال في إثراء البنية الصورية للنص، ويمنح المكان مرونة دلالية تجعله أداة تعبيرية فاعلة في حمل المعاني العميقة، سواء كانت تلك المعاني تتعلق بالهوية، أو الحنين، أو القلق، أو التوق نحو المطلق.

ويقول في قصيدته (هدنة):

ألا أيها (البحر)
كل النوارس
عادت لأَزْرَقِها في (الخليج)
ووحدي بقيت أهادن صيحتي الناعبة
وكل الجهات التي انفضّ شمل قبيلتها
أَسْلَمَتْنِي إلى جهة غاربة[١]

في الأبيات المختارة من قصيدة "هدنة"، يتجلى بوضوح دور الخيال الشعري في تشكيل المكان، حيث لا يظهر المكان بوصفه إطارًا جغرافيًا محدودًا، بل كفضاء متخيل نابض بالرموز والانفعالات. فالشاعر يخاطب البحر وكأنه كائن حي، ويمنح "الخليج" بعدًا شعوريًا مرتبطًا بالدفء والانتماء، بينما تتحول "الجهة الغاربة" إلى رمز للضياع والتيه. هذا التشكيل لا يعتمد على وصف واقعي مباشر، بل ينبثق من رؤية ذاتية داخلية، تُعيد بناء المكان في ضوء تجربة شعورية تتسم بالوحدة والقلق والحنين. وهكذا يصبح المكان في شعر جاسم الصحيح كيانًا متخيلًا تتداخل فيه العناصر الواقعية بالرمزية، ويتفاعل فيه الفضاء الخارجي مع العالم الداخلي للشاعر، مما يثري البنية الشعرية ويوسّع دلالاتها النفسية والفنية. ونجد شوقي ضيف له رأي للتخيل ويقول عنه بأنه يقوم على الفطرة الإنسانية التي يستطيع بها الأدباء إنتاج الصورة والصورة لا تؤلف من الهواء، إنما هي نتيجة تراكمات وأحاسيس سابقة تكمن في عقولهم، وتبقى راسخة وعندما توجد الفرصة المناسبة يظهرونها، وبها تؤلف الصورة التي يطمحون لها، فتكون الصورة من ابتكارهم وعملهم والخيال عند الأدباء يقوم على عنصرين أساسيين هما: تنشيط المدركات والمحسوسات الكامنة في العقل وإعادة بنائها من جديد. [٢]

يقول الشاعر في قصيدته (صعدت الطابق (الخمسين)):

صعدت الطابق (الخمسين) مني

---

[١] الأعمال الشعرية، ١، ص ٣٥-٣٦.

[٢] ينظر: شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٦٧.

كما صَعَدَتْ معارجها، الصلاة
طوابق ما بها إلا ذواتي
مبعثرة، وأسمائي شتات
هنا كينونتي انتشرت، وطاشت
تفاصيلي.. هنا العُمُرُ الفُتات
فما من طابق إلا لي اسم
به، وحقيقة عني، وذات
هنا أشرقت من شرفات صبح
ندي، عَطَّرَتْهُ البسملات[1]

في قصيدة "صعدت الطابق الخمسين"، يشكّل جاسم الصحيح مكانًا متخيّلًا يحمل دلالات روحية ونفسية عميقة، حيث يتحوّل "الطابق الخمسين" من مجرد موقع مادي إلى رمز للصعود الروحي والتأمل الذاتي، كما في تشبيهه بالصلاة. فالمكان هنا ليس حيزًا جغرافيًا، بل فضاء داخلي تتوزع فيه "ذوات" الشاعر المبعثرة، في دلالة على تشظي الهوية والبحث عن الذات.

ويؤكد الشاعر في قوله: "فما من طابق إلا لي اسم / به، وحقيقة عني، وذات" أن كل جزء من هذا المكان يحمل جانبًا من تجربته، وكأن الطوابق تجسد محطات من حياته أو أوجهًا مختلفة من كيانه. وفي نهاية النص، يظهر المكان بوصفه منبعًا للنور والصفاء، حين يقول: "هنا أشرقت من شرفات صبح / ندي، عطرته البسملات"، في عودة إلى الطمأنينة والانبعاث.

هكذا يصبح المكان عند الصحيح كيانًا رمزيًا ينبثق من الخيال، ويعكس التوترات النفسية والتجارب الوجودية، لا بوصفه موضعًا بل كتجلٍ شعري نابض بالدلالة والانفعال.

ومن ذلك قوله في قصيدة (ما أَمْطَرَهُ غيم النهايات):

أتيت للدار لم أَلْقَ الرواق بها
مُضَمَّخا بنسيم الرحمة العطر
ولا وَجَدْتُكَ وجها طالما انْسَكَبَتْ
عليه عيناي حَتَّى جَفَّفَتْ نَظَري

[1] الأعمال الشعرية، ١، ص ٣٩.

وشيبة فار تَنُّورُ البياض بها
على مُحَيَّاكَ حَتَّى آخِرِ (الشَّعَرِ)[١]

في هذه الأبيات من قصيدة "ما أمطره غيم النهايات"، يتجسد دور الخيال الشعري في تشكيل المكان من خلال استحضار "الدار" لا كمكان مادي فقط، بل كفضاء شعوري تستحضر فيه الذات الشاعرة حضور الأب، والحنين، والفقد. فـ"الرواق" الغائب، وغياب "نسيم الرحمة"، و"الوجه" الذي كانت تنسكب عليه دموع الشاعر، كلها صور تنسج مشهدًا داخليًا قائمًا على الخيال والتذكر، أكثر من كونه وصفًا واقعيًا لحالة راهنة.

الخيال هنا يعيد تشكيل المكان بعد الفقد، فتصبح الدار فضاءً خاليًا من الحياة، مطبوعًا بالغياب، ويغدو مظهر الشيب في ملامح الأب الغائب صورة تختزن الزمن والحنين معًا. المكان في هذه الأبيات ليس مجرد منزل، بل تجسيد شعري لفراغ العاطفة والحرمان من الألفة، حيث تتداخل الصور الحسية والعاطفية لتخلق مكانًا متخيلًا يعبّر عن الوجع الداخلي والفقد الوجودي. وهكذا يسهم الخيال الشعري في تجاوز المعطى المكاني الواقعي، وتحويله إلى رمز دلالي فني يعكس تجربة ذاتية عميقة.

ويقول في قصيدة (في حديقة (هيت لك)):

عبثا أرى (بغداد) فيكِ
مدينة مهدورة ومليكة مغدورة..
يا بنت (دجلة)
قطعي أزرار هذا النهر
عن جَسَدٍ تَقَرَّحَ تحت أقدام الغزاة
لكي أرى
إن كنت (بغدادية) حتى المفاصل والعظام.[٢]

في هذه الأبيات من قصيدة "في حديقة (هيت لك)"، يتجلّى بوضوح دور الخيال الشعري في تشكيل المكان، حيث تتحول بغداد من مدينة جغرافية إلى كيان متخيل مثقل بالرموز التاريخية والسياسية والوجدانية. فالشاعر لا يصف المدينة كما هي في الواقع، بل يعيد تشكيلها شعريًا لتصبح رمزًا للكرامة المنتهكة والمجد المسلوب،

[١] الأعمال الشعرية، ١، ص ١١٨.
[٢] الأعمال الشعرية، ١، ص ١٦٢-١٦٣.

إذ يصفها بأنها "مهدورة" و"مغدورة"، ويُسقط عليها صورة الأنثى المستلبة، ليكثّف بذلك المعنى الشعوري من خلال استعارة مكانية تخييلية.

النهر، رمز الحياة في بغداد، يصبح في الخيال الشعري مجرى للعار والألم، حين يُطلب قطعه عن "جسد" تقرّح تحت أقدام الغزاة. هذا التصوير يحوّل المكان من كونه معلمًا طبيعيًا إلى رمز للخذلان والاحتلال والفقد، ويمتزج فيه السياسي بالوجداني في بنية شعرية تخييلية. وهكذا يُوظّف جاسم الصحيح خياله لإعادة تشكيل المدينة، لا بوصفها مكانًا قائمًا، بل كمرآة لهويّة جريحة، وتجربة وجودية متوترة، مما يجعل المكان المتخيل حاملاً كثيفًا للدلالة الشعرية والرمزية.

وقول الشاعر في قصيدة: (رحيل غير متفق عليه)

وكأنما الشَّبَقُ المُريب
أطل يلعق إصبعيه!
كنت البحيرة لا تبوح
بقاعها .. ماذا لديه!
وأنا كما الشلال يكشف -
للمدى عن عَوْرَتَيْهِ[1]

في قصيدة (رحيل غير متفق عليه) يخلق جاسم الصحيح مكانًا متخيّلًا تتجاوز دلالاته حدود الواقع الحسي إلى فضاء رمزي يعكس القلق الوجودي وانكشاف الذات. يبدأ المشهد بصورة مثيرة للريبة: "وكأنها الشبق المريب / أطل يلعق إصبعيه!"، حيث يتجسد المكان هنا كفضاء شبقي غامض، تتداخل فيه الرغبة بالخطر، فيدفع الذات إلى مواجهة توتر داخلي.

ثم يظهر المكان المتخيل في استعارة البحيرة: "كنت البحيرة لا تبوح / بقاعها .. ماذا لديه!". فالذات الشاعرة تتقمص صورة البحيرة الصامتة، التي تُخفي في أعماقها أسرارًا لا تُفصح عنها، وكأن المكان يتحول إلى رمز للغموض والانطواء والاحتفاظ بالوجع في الداخل. وعلى النقيض، يستحضر الشاعر صورة أخرى مقابلة: "وأنا كما الشلال يكشف – / للمدى عن عورتيه". فبينما تمثل البحيرة الكتمان والعمق المستور، يأتي الشلال رمزًا للانكشاف والاندفاع، حيث يُفضي عن باطنه دون مواربة، حتى لو أدى ذلك إلى فضح "العورتين" أمام المدى اللامتناهي.

[1] الأعمال الشعرية، ٣، ص ٢٧٠.

من خلال هذا التقابل بين البحيرة والشلال، يصوغ الصحيح مكانًا متخيّلًا متناقضًا يجمع بين الخفاء والظهور، بين الاحتجاب والبوح، ليعكس صراع الذات بين الرغبة في كتمان أسرارها والانكشاف القسري أمام قسوة الواقع. وهكذا يغدو المكان فضاءً داخليًا مشبعًا بالرموز والانفعالات، يُعيد الشاعر تشكيله عبر الخيال ليعبر عن حالة وجدانية مأزومة، حيث يصبح المكان ذاته شاهدًا على الاغتراب والمعاناة.

وقول الشاعر في قصيدة: (كتابي تراب الأرض)

أُفكر لو أن السماوات مطبخي
أأطهو لهذا الخلق مستقبلا رخي ؟!
أأنشر في ماء المشيئة سُكرا
وأهمس: يا رَبَّاهُ مِنْ رُوحِكَ انفخ ؟!
تُدَوِّخُني الأفكار في جلوتي لها..
وما قيمة الأفكار إن لم تُدَوّخ ؟![1]

في هذه الأبيات من قصيدة "كتابي تراب الأرض"، يتجلى الخيال الشعري بوصفه أداة مركزية في تشكيل المكان المتخيل، حيث يتجاوز الشاعر حدود الواقع ليبني فضاءً شعريًا فانتازيًا يمزج بين المقدس واليومي، بين الذاتي والكوني. فـ"السماوات" تتحول إلى "مطبخ" فكري كوني، في استعارة مدهشة تُعبّر عن رغبة الشاعر في إعادة خلق العالم وفق مشيئته الشعورية والفكرية، وكأن الخيال يمنحه سلطة كونية لا محدودة.

هذا التشكيل المتخيل للمكان يعكس طموح الذات الشاعرة في التدخل بمصير البشرية، عبر رموز كـ"الطهو"، و"السكر"، و"النفخ من روح الله"، وكلها صور تمنح المكان بعدًا روحيًا وإبداعيًا خالصًا. المكان هنا لا يُبنى على جغرافيا الأرض، بل على خريطة فكرية/تأملية تنبثق من تأملات الشاعر في الخلق والمصير. وهكذا، يصنع جاسم الصحيح في هذه الأبيات مكانًا داخليًا متخيلاً، يتحرّك فيه الشاعر كفاعل خلاق، تتداخل فيه الأفكار والرؤى والوجدانيات، ليصبح المكان أفقًا للخلق الرمزي، لا مجرد حيّز فيزيائي.

وقوله: (على مقلاة الوجع)

ما طفتُ مقبرةً تُضَيِّفُ أَهْلَها
إلا تَوَهَّمْتُ السكوت طعاما

[1] الأعمال الشعرية، ١، ص ٣٤٥.

بالله يا أهل المقابر: قدموا
لي في إناء العابرين كلاما
نموا بأسرار التراب، فربما
أضحى التراب بِسرِكُمْ نماما ![1]

في هذه الأبيات من قصيدة "على مقلاة الوجع"، يُبدع جاسم الصحيح في تشكيل المكان المتخيل من خلال توظيف الخيال الشعري الذي يحوّل المقبرة من مكان صامت للموت إلى فضاء نابض بالتأمل والدهشة. المقبرة، التي عادة ما ترمز إلى السكون والفناء، تُستحضر هنا بوصفها مكانًا يمكن أن "يُضيّف" الزائرين، و"يُقدَّم" فيه السكوت كطعام، في قلبٍ للمعهود الواقعي إلى عالم رمزي متخيل يعكس عمق العلاقة بين الحياة والموت.

الخيال يفتح للمكان أفقًا جديدًا حين يطلب الشاعر من "أهل المقابر" أن يقدموا له "كلامًا" في "إناء العابرين"، وكأن الموتى يملكون أسرارًا لم تُفصح بعد، وقد يبوح بها "التراب النمام". في هذا التشكيل، يتحول المكان إلى شخصية فاعلة تحمل دلالة وجودية وأخلاقية، تُمثل قلق الشاعر من الصمت، ورغبته في فهم ما وراء العالم المحسوس. فالمقبرة في خياله ليست نهاية، بل فضاء للتساؤل والبوح المؤجل، حيث يتجسد المكان ككائن روحي/رمزي يتفاعل مع الذات الشاعرة ويكشف عن مكامن الغياب والمعنى.

المطلب الثاني
رمزية المكان المتخيل في تعبير الشاعر عن قضاياه الذاتية والإنسانية

يتخذ المكان المتخيل في شعر جاسم الصحيح طابعًا رمزيًا يعكس أبعادًا أعمق من مجرد التحديد المكاني، إذ يتحول إلى مرآة تعكس قضايا الشاعر الذاتية والإنسانية، وتكشف عن توتراته الوجودية وهواجسه الفكرية. فالمكان لا يُستَحضر بوصفه جغرافيًا، بل يُستدعى كرمز لمشاعر الحنين، والاغتراب، والحلم، والتمرد، والبحث عن المعنى. وتندمج الذات الشاعرة بالمكان المتخيل ليشكّلا معًا وحدة شعورية، حيث يُصبح المكان رمزًا للحرية حينًا، وللألم حينًا آخر، أو للمأمول المفقود. وبهذه الرمزية، يُعبّر الصحيح عن قضاياه كإنسان معاصر يعاني من الاغتراب في الواقع، ويبحث عن الخلاص في فضاءات الحلم والخيال، مما يمنح شعره بعدًا إنسانيًا يتجاوز الخصوصية إلى العالمية.

---

[1] قريب من البحر.. بعيد عن الزرقة، ص ١٥٥.

ومن الأماكن المتخيلة التي وظفها الكاتب، في قصيدته (قراءة في دفتر العائلة):

واحدا واحدا
يتحرر أبنائي الآن من دفتر العائلة
واحدا واحدا
يقفزون على حاجز المستطيل الذي شَدَّهُمْ
بين أضلاعه القاتلة
وطن
يتضاءل تعداد سُكَانِهِ
ثم يمضون..[١]

في هذه الأبيات من قصيدة "قراءة في دفتر العائلة"، يتجلى المكان المتخيل بوصفه رمزًا عميقًا لتجربة الاغتراب والتمرد الوجودي، حيث يتحول "دفتر العائلة" من وثيقة رسمية إلى فضاء رمزي خانق، يمثل القيد الاجتماعي والوجودي الذي يحد من حرية الذات. أبناء الشاعر يتحررون "واحدًا واحدًا" من هذا القيد، ويقفزون خارج "المستطيل القاتل"، في تصوير مجازي يعكس تمزق الرابط بين الفرد ومؤسسة الانتماء، سواء كانت الأسرة أو الوطن أو الهوية. المكان هنا لا يحمل ملامح جغرافية، بل يتشكل من خلال الخيال ليُجسّد المأزق الإنساني المعاصر، حيث الوطن يتضاءل، والأفراد يغادرونه نحو المجهول، مما يكشف عن قلق الشاعر على مصير الجماعة والذات في عالم فقد اتزانه. وهكذا، يستخدم الصحيح المكان المتخيل كأداة رمزية لتجسيد قضاياه الذاتية والإنسانية، ويحوّله إلى مرآة تعكس فقدان الانتماء والحنين إلى فضاء أكثر رحابة وعدالة.

وقوله في قصيدته (ما أَمْطَرَهُ غيم النهايات):

تيتمت داخلي الأشياء .. شبه لي
أن الحياة ربيع ثاكلُ الزَّهَرِ
إحساسي اليوم إحساس الحقول غَدًا
لو هاجَرَتْ آخِرُ النَّخْلَاتِ من (هَجَرِ)
أبي.. وأُقْسِمُ بالقبر الذي انْفَرَطَتْ
فيه عظامك من إكسيرها النضر:

[١] الأعمال الشعرية، ١، ص ١٠٩.

روح انتمائي لهذي الأرضِ مَا اكْتَمَلَتْ
حتَّى زَرَعْتُكَ بين الطين والمَدَرِ[1]

في هذه الأبيات من قصيدة "ما أمطره غيم النهايات"، يتجلى المكان المتخيل كرمز إنساني عميق يُعبر من خلاله الشاعر عن مشاعر الفقد والانتماء والحنين. فـ"هَجَر" ليست مجرد مدينة أو مكان جغرافي، بل تتحول في المخيال الشعري إلى رمز للذاكرة والحنين والفراغ بعد الرحيل. تشبيه الحقول بإحساسٍ مستقبلي حزين "لو هاجرت آخر النخلات من هجر" يمنح المكان بعدًا إنسانيًا حيًا، يُجسد شعور الوحدة والتيه بعد فقد الأحبة، خاصة الأب الذي يمثل في هذه الأبيات الجذر الرمزي للانتماء.

يُصبح قبر الأب في المكان المتخيل بؤرة للهوية والحنين والاكتمال الوجودي، فالشاعر لا يرى نفسه منتميًا للأرض إلا بعد أن "زرعه" في ترابها، في تصوير خيالي عاطفي يُعلي من قدسية العلاقة بين الإنسان والمكان، بين الذاكرة والحنين، ويجسد بذلك قضية إنسانية كبرى تتمثل في التشبث بالوطن من خلال من نحب، وفي البحث عن المعنى من خلال رمزية المكان والدفن والانتماء. المكان هنا ليس مرسومًا جغرافيًا، بل مُتخيلًا محمّلًا بالعاطفة والرمز، يعبّر عن توتر الشاعر بين الفقد والتجذر، بين الاغتراب والانتماء. فتجد " أنه في دراسة الخيال لا يوجد موضوع دون ذات، بل إن الخيال بالنسبة للمكان، يلغي موضوعية الظاهرة المكانية _أي كونها ظاهرة هندسية_ ويحيل مكانها ديناميته الخاصة _المفارقة_ وعندما يتحول الخيال إلى شعر فهو يلغي السببية ليحل محلها (التسامي المحض)".

وقوله في قصيدة: (ضيف على سِجْنِكُمْ)

ضيف على سِجْنِكُمْ يا (آل إنسان)
كيف الخلاص وفي جنبي سجاني !
ضيف على السجن الفَى مِلْحَ مِحْنَتِهِ
زاداً لكل خيال فيه، جوعان
ضيف على السجن لكن لم أكن أَحَدًا
ولن أكون سواي العابر الفاني[2]

في هذه الأبيات من قصيدة "ضيف على سجنكم"، يصوّر جاسم الصحيح

[1] الأعمال الشعرية، ١، ص ١١٧.
[2] الأعمال الشعرية، ١، ص ٢٥١.

المكان المتخيل كسجن رمزي يعكس قلق الذات وتناقضاتها الوجودية. فالسجن هنا ليس مكانًا ماديًا محددًا، بل فضاء داخلي متخيل يمثل الأسر النفسي والمعنوي، حيث يكون السجان جزءًا من الذات نفسها: "وفي جنبي سجاني". هذا التصور يمنح المكان بعدًا رمزيًا يُعبر عن الانقسام الداخلي، وعن صراع الإنسان مع ذاته ومع محيطه.

يتحوّل السجن إلى مجاز للوجود القسري، ولمحنة الوعي، حيث يصبح حتى الخيال جائعًا، ويُطلب منه أن يقتات من "ملح المحنة"، في استعارة مكثفة تُعبر عن العجز، والتوق للتحرر، واللاجدوى. كما أن قول الشاعر "لكن لم أكن أحدًا / ولن أكون سواي العابر الفاني" يعمّق من بعد الغربة واللاانتماء، إذ لا يرى لنفسه حضورًا حقيقيًا أو كيانًا متجذرًا، بل يمرّ كضيف عابر داخل هذا السجن الرمزي. ما يميز الشاعر عن الآخرين هو أن الخيال يكون عند الشاعر متوقدا، ويجسد تجربة في شكل أكثر اتساعاً، والجهد الذي يبذله الشاعر ليس تسلية أو إملاء فراغ ما، لكنه ضرورة نابعة من تجربة شخصية، ومهما كان الخيال يصل إلى درجة عالية ويتميز باللذة إلا أنه حتمي لإدراك العالم، ولذلك نجد أن الشاعر تتدفق ينابيع خياله التي تتفجر في مستوى أعمق من الحاجة، وتشكل ضرورة لتحقيق ما يحاول إيصاله للمتلقي، وتكون الضرورة متزايدة. [١]

في ضوء ذلك، يبرز المكان المتخيل كرمز لصراع الذات الإنسانية المعذبة، ويعبر عن قضايا الشاعر النفسية والفكرية من خلال صور كثيفة ومشحونة بالرمز والاغتراب، في تمازج بين التجربة الشخصية والهمّ الإنساني العام.

ومن ذلك قول الشاعر: (العابر في التأويل)

رعيت ولكن في مراعي هواجسي!
تَأَمَّلْتُ لكن في (حِرَاء) الشَّوَارِعِ!
يُجَلِّلُني مجد (القصائد) حينما
أشم أريج الله بين (المطالع)
حروفي نجوم أَفْلَتَتْ من مدارها
إليَّ، وعَقَّتْ ما لها من مواقع! [٢]

في هذه الأبيـــات من قصيدة "العابر في التأويل"، يتجلى المكـــان المتخـــيل

[١] ينظر: عاطف جودة نصر، الخيال مفهوماته ووظائفه، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ط)، ١٩٨٤م، ص ٢٤٤.

[٢] جاسم الصحيح، طيور تُحَلِّقُ فِي المِصْيَدَة، ص ١٧-١٨.

بوصفه رمزًا للتجلي الروحي والإلهام الشعري، إذ يضع الشاعر "حراء" – رمز الوحي والاتصال السماوي – في قلب "الشوارع"، أي في الواقع اليومي المعاش، مما يخلق تقابلًا رمزيًا بين القداسة والابتذال، بين السمو الروحي وصخب الحياة المعاصرة. فالمكان هنا لا يُقصد به جغرافيا حراء، بل حراء متخيل، تنبع قدسيته من شعور الشاعر بوحي القصيدة وتجلي المعنى وسط ضجيج العالم.

وتعكس صورة الحروف التي "أفلتت من مدارها" وانجذبت إليه، تمردًا على السياقات المألوفة، وانحيازًا للذات الشاعرة بوصفها مركزًا للتلقي والتأويل. فالمكان المتخيل، في هذا السياق، يصبح وعاءً للتجربة الشعرية المقدسة، وتعبيرًا عن حالة من التوتر بين الانتماء إلى السماء والانغماس في الأرض. وهذا التوتر يجسد قضايا الشاعر الذاتية والإنسانية: بحثه عن المعنى، توقه للسمو، وشعوره بالغربة الروحية، مما يجعل المكان المتخيل انعكاسًا حيًا لحالته الشعورية ومجاله الرمزي الذي يُترجم وجدانه إلى لغة.

النتائج

يركّز هذا المبحث على المكان بوصفه نتاجًا للخيال الشعري، يتجاوز حدود الواقع المادي، ويُعاد تشكيله وفقًا لرؤية الشاعر الداخلية. فالشاعر لا يكتفي باستحضار الأماكن المعروفة أو المألوفة، بل يبتكر فضاءات شعرية بديلة، تستوعب هواجسه ومكابداته وتطلعاته.

يلجأ جاسم الصحيح إلى المكان المتخيل كوسيلة لتجسيد حالاته النفسية المتقلبة، وهروبه من الواقع إلى عوالم مفترضة تكون أكثر قدرة على احتضان رؤيته الفكرية والفنية. وفي هذا السياق، يتحول المكان المتخيل إلى رمز لقضايا ذاتية مثل الغربة، والتشظي، والحنين، وقضايا إنسانية أوسع، كالقهر، والضياع، والبحث عن العدالة والحرية.

ويُظهر الشاعر براعة في تطويع اللغة لخلق صور مكانية نابضة، تزاوج بين التجريد والواقعية، بحيث تبدو هذه الأمكنة كأنها تنبض بالحياة، وتشكل بنية شعورية موازية للذات الشاعرة. فالمكان لا يكون معطى جاهزًا، بل يتولد من التجربة الداخلية، ويتلون بتقلباتها وانفعالاتها.

قائمة المصادر والمراجع:

- بوعزة محمد، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، دار الأمان، الرباط، ط ١، ٢٠١٠م.
- العامري، ساهرة حسين عليوي، المكان في شعر ابن زيدون، رسالة ماجستير، جامعة ٢٠٠٨.
- الأعمال الشعرية، ١، ص ٣٥-٣٦.
- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٦٧.
- جاسم الصحيح، الأعمال الشعرية، المجلد الأول، الطبعة الثانية، دار أصياف للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م.
- جاسم الصحيح، الأعمال الشعرية، المجلد الثالث، الطبعة الثانية، دار أصياف للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م.
- جاسم الصحيح، قريب من البحر.. بعيد عن الزرقة، الطبعة الأولى، دار ميلاد للنشر والتوزيع، ٢٠١٨.
- عاطف جودة نصر، الخيال مفهوماته ووظائفه، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ط)، ١٩٨٤م.